واجهته صعوبات مالية فانتقل الى خدمة سيد آخر يقال انه كان ذا شخصية متعمقة وطيبة . فتفانى توم في حبه وخدمته وخدمة ابنته الطفلة التي كانت تحبه لانه علمها الالعاب والاغاني وأخبرها القصص الى أن توفيت وتوفي والدها فانتقلت ملكية توم الى سيد آخر كان سيىء الخلق فأخذ توم يصلي من أجله الى أن توفي نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من سيده الجديد .

ثمة جانب آخر من رواية **كوخ العم توم** لا يسعنا تجاهلها نظرا لارتباطها وتشابهها نوعا ما بموضوعنا الحالي . فالى جانب العم توم تحكي الرواية قصة آخرين من العبيد الزنوج اللذين كانوا مستعبدين في المزرعة الاولى التي خدم فيها العم توم: جورج وزوجته وابناؤهما اللذين فضلوا الهرب على ان تتفتت عائلتهم عند بيعهم، فذهبوا الى الشمال الى أن انتهى بهم المطاف في كندا حيث لم يعرفوا ماذا سيحل بهم . وكانت في الولايات المتحدة آنذاك قد قامت حركة ، او بالاحرى ، اقيمت حركة سوداء بتأييد من الحكومة الاميركية ، سعت لتهجير السود المعتقين الى ليبيريا التي قامت البحرية الاميركية باحتلالها واقامة دولة « مستقلة » فيها يحكمها السود الاميركيون المستوطنون في خدمة الدولة الام التي تبنت حركتهم ومكنتها من تحقيق اهدافها . وقد ارتأت مؤلفة الرواية ان تنهيها بقرار جورج وعائلته الاستيطان بليبيريا . وبعدها ختمت روايتها بالشعارات التي اطلقتها عن الحضارة التي سينقلها المستوطنون السود الى افريقيه بمساعدة وتشجيع من الكنائس البروتستانتية الاميركية .

لا بد ان القارىء قد يتحسس من عرضنا للخطوط العريضة لهذه الرواية أوجه تشابهها مع قصة هرتزل والصهيونية . فثيودور هرتزل كان بمثابة التجسيد اليهودي لشخصية العم توم اذ انه كان ينكر لليهودية واليهود . وغالبا ما ردد في مذكراته الاقوال عن اعجابه بغير اليهود وخاصة ابناء الطبقات الرفيعة منهم من الالمان (خاصة البروسيين) والبريطانيين والفرنسيين الذين تطلع اليهم على انهم المثال الاعلى الذي ينبغي ان يحتذى من أجل التنميق والذوق الرفيع والحضارة . وقد قال اكثر من مرة انه لا يلوم اللاساميين من غير اليهود على اضطهادهم لليهود وسجل في مذكراته مرة واحدة على الاقل ان اللاساميين على حق كما ردد مرارا قوله ان اللاساميين سيكونون افضل حلفاء الصهيونية . وعلى نهج حركة ليبيريا كان هرتزل يتكلم عن اعتقاده بأن اليهود في « البلاد الجديدة » سينقلون معهم عناصر الحضارة الاوروبية الى الشرق المتخلف(٢) . ومن يعرف اوضاع دولة ليبيريا اليوم ، بما فيها من تمييز يلقاه الافريقيون السود من السكان الاصليين على أيدي المستوطنين الاميركيين السود الذين يشكلون العنصر الحاكم في البلاد ويديرون دفتها باتفاق دائم مع سياسة الولايات المتحدة الاميركية ، مع ما يقابله ذلك في اسرائيل من تمييز ضد السكان العرب الاصليين واليهود الشرقيين من اصل عربي على ايدي المستوطنين من اليهود الغربيين الذين يحكمون البلاد وفق سياسة تبعية لحكومة الولايات المتحدة ، يمكنه ان يرى وجه الشبه بين « الحل » الذي دعت مؤلفة شخصية العم توم اليه و« الحل » الذي اعتنقه هرتزل للمشكلة اليهودية .

ان المقارنة التي نحن بصددها بين ثيودور هرتزل وشخصية العم توم ، لم تأت تلقائيا او عفويا بل اقتبسناها من اشارة بهذا المعنى وردت في مذكرات هرتزل نفسه . فعند توصله الى الصهيونية في صيف ١٨٩٥ كان هرتزل يقيم في باريس حيث كان يعمل مراسلا صحفيا يكتب الاقاصيص والنوادر عن الاوساط السياسية الفرنسية التي كانت تنشر في صحيفة **نيو فراي برس** في فيينه بالنمسه حيث كانت تقيم عائلته . وقد كان هرتزل يكتب المسرحيات من آن الى آخر ، وهذا ، بالاضافة الى عمله الصحافي وكتابة الاقصوصة ، جعله على اتصال ببعض الكتاب الفرنسيين . ويبدو انه ، من بين هؤلاء ، كان على معرفة واتصال ، وربما صداقة وثيقة ، بالكاتب الصحفي الفرنسي ، الفونس دوداي ،